العربي
السفير
جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

الخميس 21 نيسان 2016 – الموافق 14 رجب 1437 هـ – العدد 13348

AS-SAFIR Arabic political daily - Thursday April 21, 2016 N° 13348

1

«داعش في اليمن: مشروع في إطار البث التجريبي» أو رصد لإشكاليات وجود داعش في البلاد، وتداخلاته مع القاعدة ومع سائر القوى السياسية اليمنية والإقليمية الفاعلة. وفي «بيتونة»: النازح الصغير.

2

دارفور تعود الى صدارة المشهد السوداني مع الاستفتاء الذي أجرته السلطات هناك. والاقتصاد السياسي للفساد في تونس: وحيث الثورة لم تقضِ عليه، فرصد لآلياته وللنتائج المترتبة على انتشاره.

3

وقائع انتخابات مجلس الشعب السوري. و«بألف كلمة» عن 15 إبريل، «جمعة الأرض» بمصر. والمدونات تتناول «بيع» الجزيرتين للسعودية. وعلى الموقع: شعارات الحراك المصري المتجدد، والتدوين بسكك الحديد، ومدن موريتانيا التراثية.

4

رواية ما جرى بمصر في الأيام الحاسمة

هل بُعث جهاز المخابرات الحربية المصرية ووُضع على الخطوط الأمامية للمعركة؟ يبدو أن ذلك هو المعنى الأبرز لصعود المشير السيسي إلى الحكم. عشية «28 يناير» 2011 انتهى وجود «الداخلية»، وهي اكتفت بالتمترس في خط دفاعها الأخير بين الشيخ ريحان ولاظوغلي بعابدين. وفشلت هناك كل محاولات الشباب الثائر لاقتحامها. وعلى الرغم من وقوع عدد كبير من الشهداء والمصابين في هذه المحاولات، إلاّ أنها لم تكن جادة بالمقدار الذي يتيح تهديد ذلك الحصن الأخير. وفي مساء 29 يناير، استكملت قوات الجيش حصار الداخلية بالكامل، ووجهت فوهات الدبابات إلى المبنى، في إنذار واضح. تراجعت الداخلية وتُرك الأمر للجيش.

صراع الجيش والمخابرات وأمن الدولة

من الصعب معرفة حقيقة ما حدث داخل المبنى التاريخي الذي كان مركز ثقل الحكم في عصر مبارك. ولكن، وأثناء الـ18 يوماً (ما بين 25 يناير و11 فبراير 2011)، بدا أنّ ثمّة خلافا حادا بين الجيش والمخابرات العامة وأمن الدولة. سريعا، خرج أمن الدولة من المعركة بحكم تهشيم وسحق الداخلية من قبل الناس، وبقيت المخابرات والجيش في الميدان، وسريعاً أيضاً تمت تنحية عمر سليمان (نائب رئيس الجمهورية ورئيس جهاز المخابرات العامة). وسرت إشاعات كثيرة عن محاولة اغتياله من قبل الجيش، وسواء صحت هذه الأقاويل أم لم تصح، كان من الواضح، على أية حال، خروج المخابرات وقائدها من المشهد، بل أُقصي عمر سليمان مرة أخرى من قبل المجلس العسكري حينما حاول العودة من خلال انتخابات الرئاسة.

المؤسسة التي خرجت دون أدنى إصابات أو هجوم عليها كانت المخابرات العسكرية بقيادة المشير السيسي. فمنذ اندلاع الثورة، وبالأخص بعد انتهاء الـ18 يوماً تلك الحاسمة، عمّق السّيسي من علاقاته ولقاءته بكلّ القوى السّياسية الموجودة (شباب الثورة، الإخوان، القوى السياسية القديمة..) ونُشرت له العديد من الصور معهم، كما عمّق من علاقته بالإعلاميين والصحافيين أيضا. لم يمر أكثر من شهر حتى بدأ الهجوم على مقر أمن الدولة بالإسكندرية، وهي كانت معركة حقيقية خاضها ثوار المدينة بالدم والنّار. استغلت المخابرات العسكرية والجيش ذلك الهجوم في الإسكندرية وقامت بتيسير الأمور للسيطرة على مبنى «مدينة نصر»، مقر أمن الدولة في القاهرة في اليوم التالي. ليس اقتحامه وإنّما دخوله، حيث لم تحدث أي مناوشات، ولو خفيفة، بين الثوار وقوات الأمن. في هذه الموجة من الهجوم على مقرات أمن الدولة، انتقلت ملفات الجهاز بالكامل إلى المخابرات العسكرية: كان الثوار يقومون بتسليم كل ملفات أمن الدولة إما لبعض قيادات الجيش التي حضرت ميدانياً، أو لقوات الشرطة العسكرية.

كان المشهد شديد الإربـاك في الإسكندرية. كان الجميع يعلم بأن تظاهرات عدّة تتّجه صوب مبنى أمن الدولة بالفراعنة. ولكن لم يتوقع أحد أن المشهد سينقلب وسيكون بهذا القدر من الدموية. فمع حلول أول خيوط الليل، انفلتت أعصاب ضباط أمن الدولة الذين اعتبروا مجرد تعرضهم للحصار بتظاهرات (بدأت سلمية)، غير مقبول وغير معقول، فجهازهم اعتبر نفسه سيد البلد الأول والمتحكم في مقاليد الأمور. وبالفعل أطلق بعض الضباط الرصاص الحي وبعض قنابل الغاز، لتنقلب الأمور ويندفع الثوار نحو اقتحام المبنى حتى تمكنّوا منه. وحضر قمر الانتقام لينير ظلمة هذه الليلة بالدماء.

كانت العلاقة بين الثوار والجيش لم تصب بالتوتر بعد، وجسور الثقة بينهم كانت ما زالت مشيّدة. وأثناء نقل الملفات، أُصيب العديد من ضباط الجيش بالصدمة والغضب حينما اكتشفوا تجسس جهاز أمن الدولة عليهم. كان هذا أمراً معلوماً لدى البعض قبل الواقعة، ولكن يبدو أنّه كان جديداً على البعض الآخر. وأُصيب ضباط الجيش بقدر كبير من التناقض. فهم من ناحية يودون السيطرة على الوضع، وفي التحليل الأخير فاقتحام أحد مباني الدولة أمر غير مقبول بالنسبة لعقيدة الجيش. ومن ناحية أخرى، أعرب بعضهم عن فرحه الشديد لانهيار هذا المبنى. لم تكن جماعة الإخوان حاضرة في هذا المشهد الملحمي، وفضلت الاحتفال في ستاد الإسكندرية بحضور المطرب حمادة هلال، وبعثت ببعض أفرادها في آخر الليل بحثاً عن بعض الملفات، وبالفعل نجحت مهمتهم في الحصول على بعض الملفات وخرجوا بها.

المخابرات العسكرية

انتهت الليلة عند هذا. انتهى آخر ما تبقى من دولة مبارك. ولكن في الصباح، كان هناك موعد ولقاء مع قلب دولة يوليو! عادت المخابرات العسكرية بكل قوتها للمشهد. وهي تسلمت الحكم على مرحلتين: الأولى حينما فوّض مبارك المجلس العسكري بإدارة شؤون البلاد. والثانية، حينما انتقلت ملفات إدارة البلاد من أمن الدولة إلى المخابرات العسكرية. امتلك السيسي الملفات الكاملة الخاصة بإدارة البلد وأخضع أهم جهاز أمني فيها لسيطرته. وبما أنها كانت فترة اضطراب عنيفة، كان الجيش في منتهى الحذر والخوف من حدوث أي انشقاق أو تصدعات بداخله. وبالفعل جاءت أحداث نيسان/أبريل 2011 لتؤكد وجود هذا الخطر، وقام الجيش بأول عملية قمع حقيقية ضد بعض ضباطه الذين عرفوا لاحقا بـ «ضباط 8 أبريل»، حيث حاولوا الانضمام علانية لصفوف الثورة في تمرد واضح على قيادتهم، وتم الاحتفاء بهم وحملهم على الأكتاف، ثم شيّدت خيمة لهم في الاعتصام القائم وقتها بميدان التحرير.

قادت هذه الأحداث، والوضع المختلّ أصلا لبنية السّلطة (بوجود صراع سابق على الثورة بين الأجهزة الثلاث، وكان محسوماً وقتها لمصلحة أمن الدولة)، وعجز الثورة عن الحسم، وتحالف الإخوان والسلفية العلمية (حزب النور) مع العسكر.. قادت إذاً إلى تعاظم دور السيسي وجهازه. فهو الوحيد المتبقي من الأجهزة الأمنية، وهو الوحيد القادر على مراقبة الجيش من الدّاخل، وهو الجهاز الأخير محل ثقة المؤسسة العسكرية وأفرادها. أضف إلى ما سبق قرب السيسي الشديد من طنطاوي، واعتبار طنطاوي السيسي خليفته وموضع ثقته الكبيرة على المستويين الموضوعي والشخصي. والسيسي كان أحد المقربين من الأميركان، ومعروف منهم بحكم الدراسة والمنصب، كذلك الحال بالنسبة للسعودية بحكم عمله هناك كملحق عسكري. لم يلتفت الإخـوان لكل هذه التعقيدات في شبكة علاقات السلطة وبنيتها، واختاروا السيسي ليكون وزير دفاع مرسي بناء على مظهره المتدين، وصغر سنه نسبياً، وبناء على خوفهم من مطامع قيادات المجلس العسكري وإمكانية مناطحتهم لهم على شرعية الحكم. السيسي كان الشخص المناسب لتتلقفه الجماعة ببلاهة منقطعة النظير. فهو محافظ ورجعي، وعائلته هي الأخرى من النوع الذي يثير إعجاب الإخوان المسلمين على المستوى القيمي، ولا يثير لديهم أيّ مخاوف، حيث يعمل والده بحرفة الخزف في الجمالية، وهي منطقة شعبية، وأسرته محافظة وفي الوقت نفسه تعد من وجهاء المنطقة.

غرافيتي في القاهرة / الصورة: حسن عمار

.. الذعر من الإسلاميين

في هذه الفترة، انتقل السيسي من سيطرته الخفيّة على الجيش والملفات المختلفة إلى سيطرة علنية وصريحة على الجيش كلّه كوزير دفاع («بنكهة الثورة» كما لقبه الإخوان). وفي أثناء حكم مرسي، مثّل الجيش زاوية الأمان لكثير من القوى السياسية التي دخلت في معركة صريحة مع حكمهم، إذ أصيبوا بذعر وهلع من صعودهم ولفزعهم العام من الإسلاميين. ولكنّ الأهم هو تحفظ بقية أطراف الدولة على الإخوان، وبالأخص القضاء. منذ الثورة، لاذ القضاة بالجيش، حتى بالمعنى الجسدي المباشر، حيث كان يتولى تأمينهم ونقلهم. وهذا على الرغم من أنّ العديد من قوى الدّولة أبدت قدراً من التحفظ على السيسي، وذلك حتى لحظة «30 يونيو»، إذ كان هناك تخوف من أن يكون إخوانيا متخفيا، تم زرعه منذ سنوات داخل الدولة المصرية. انقلبت الأمور كلها بالوصول إلى محطة 30 يونيو. وهنا كان كل شيء متاحاً لأي تحرك من قبل السّيسي: كان الشرط الموضوعي لقبول أي تحرك من الجيش متحققا على نطاق واسع اجتماعيا وسياسيا وحتى ثوريا. على الصعيد الاجتماعي، كان هناك شبق لظهور سيد ومخلّص، يتولى أمر الإخوان والثورة. وعلى الصعيد الإقليمي، كانت الفرصة الذهبية لانتصار الحلف السعودي ـ الإماراتي على الحلف القطري ـ التركي. لم يكن السيسي يملك كل خيوط اللعبة فقط، بل أيضا تحققت له كل الشروط المطلوبة للعصف بخصومه وتسيّد المشهد. أما على الصعيد الدولي، فقرار الانقلاب العسكري لم يؤخذ من دون علم CIA أو إسرائيل، وهذا مشار إليه في ما صدر حول تلك الفترة. وسياسياً، فالإخوان حلفاء الولايات المتحدة الجدد بينما العسكر هم حلفاؤها القدامى والحاليّون، والخسارة بالتالي لن تكون فادحة في حال قبول الولايات المتحدة اطاحة الإخوان، بل ربما كانت تلك الخسارة جسيمة في حالة عدم القبول بذلك، حيث تعني احتمال فقدان مصر كحليف استراتيجي بالغ الأهمية، في ظل تفجر المنطقة بشكل خاص. أما بالنسبة لروسيا، فالمصلحة الإقليمية كانت تقتضي القضاء على الإخوان لدعمهم أعداء الأسد في سوريا، وكذلك كان الحال مع إيران.. وهي مفارقة كبرى، حيث ولأول مرة، اتفقت طهران والرياض، وكان ذلك على إطاحة الإخوان. وبالفعل حضر كلاهما حفل تتويج السيسي على عرش مصر بعدها بعام.

دورة التاريخ، وانهيار مشروع الوطنية المصرية قادا الدولة لتُخرِج قلبها الأمني الصلب إلى العلن، ولكن هذه المرة بلا أي مشروع سياسي أو افق أو خيال عما يمكن أن يكون، وما ينبغي أن يحدث. فقط كتحذير عنيف من مخاوف السقوط والانهيار. هذه المرة، لم تكن «إما الفوضى وإما الاستقرار» ـ ثنائية مبارك حيال الانتفاضات العديدة التي وقعت في عهده ـ هي ما طُرح على طاولة التفاوض والمساومة الاجتماعية، وإنما ثنائية الوجود أو الانهيار الكامل. ثمة عطب شديد أصاب الدولة في مقتل. وهي الآن عارية من أي ادعـاءات أيديولوجية أو أحلام ووعود عن المستقبل.

علي الرجّال

باحث في علم الاجتماع السياسي
متخصص في الدراسات الأمنية، من مصر

الإسلام السياسي يفترس نفسه: خلافة في ثلاثة أيام؟

صمت الشيخ طويلًا، فتكلم، فرأيناه، فأحرج شباب الجماعة الذين لهم قشرة حداثية وطلائعية. إليكم معجم الرجل الأول في جماعة العدل والإحسان: انتقد المَلك الجبري القائم في المغرب واقترح بديله وهو إقامة خلافة إسلامية في ثلاثة أيام. ونفى أن تكون استعادة الخلافة خرافة. الخلافة واجب شرعي. الكل يتمنى عودة الخلافة على منهاج النبوة. من دون خلافة سنبقى بلا سقف. قريباً سنرى راية الإسلام خفّاقة على العالم. لا يحل للمسلمين أن يبيتوا ثلاثة أيام من دون حكومة إسلامية. الخلافة مسألة حياة أو موت. الخلافة أم المقاصد. إنها الفريضة الكبرى... لمّا طُعن عمر أوصى بإقامة الخلافة في ثلاثة أيام ومن اعترض يُضرب عنقه.

ولا يجوز أن يُعقد لخليفتين. وإن وُجد فلا بد من قتل أحدهما. واستدل الشيخ بكتاب «الصواعق المحرقة» في الرد على أهل الضلال في دعوتهم لقتال الطائفة الباغية وخاصة النجدات. وقد نهى عن التشبه بأهل الجحيم من اليهود والمسيحيين (يقصد أن الجنة مخصصة للمسلمين).

خطبة لو ألقيت في ألف هجرية لما لاحظ أحد الفرق الزمني. ولا كلمة واحدة فيها عن المغرب 2016. وبما أن اللغة حمّالة وعي والمرء مخبوء تحت لسانه، فقد كشف الشيخ محمد العبادي مدى انقطاع صلته باللحظة التاريخية.

كان ذلك علامة أخرى عن أزمة الإسلام السياسي الذي يفترس نفسه في المغرب وغزة وحلب والرمادي وبروكسل. وفي ردود فعل المغاربة، كثرت المقارنات بين خطاب داعش وخطاب الشيخ.

وعلى مواقع التواصل الاجتماعي قال المؤيدون:

بارك الله في سيدي العلّامة المربي الأستاذ العبادي. كلام جميل وبلسم يطيّب القلوب، والخلافة موعود رسول الله وبشارته. شيء عادي جداً أن ينتقدك الحثالة من العلمانيين الكفار، إنهم أعداء يتحينون «الفرص» ليهاجموا كل ما يمت للإسلام بصلة.. الحمد لله، الفاروق تخافه الشياطين حياً وميتاً. والخلافة إسلامية قائمة في الشام وشمال أفريقيا وستدخل المغرب لطرد اليهود والمرتدين.. (يظن المعلّق أن شيخ الجماعة يعني خلافة داعش، بينما هو يريد تأسيس خلافة ثانية تقضي على داعش وعلى كل الدول).

كتب معارضو الشيخ:

جماعة الخرافة والتحنيط، من يريد الخلافة فليتجه لدولة داعش الإجرامية. تكفير المخالف منهج الجهلاء والدواعش. نشر الجهل والفوضى.. روح يا شَيخ إلى داعش وأعلن خلافتك مثلما يحلو لك. لو حصل هؤلاء على الحكم لتجاوزوا داعش.. يجب اعتقال الشيخ. يبدو أنه ينتظر قومة أخرى كما في 2006.

العدل والإحسان مثل من يريد بيع الماء للسقاء. سي الفقيه.. البشرية تحررت منذ زمن. هل تعيش خارج التاريخ؟ أكثرت من الكتب الصفراء.. غيّر النظارات يا شيخ. أيها الكاهن: حتى المبشَّرون بالجنة نتفوا ريش بعضهم بعضاً.

العدل و الإحسان لا تعرف الديموقراطية. كتب الشاعر صلاح الوديع غاضباً ساخراً «ترفض الخلافة على منهج النبوة؟ يُقطع رأسك بلا رحمة. انتهى الكلام». كتب معلق ساخر «الفرق بين داعش والعدل والإحسان هو أن هذه ستعقّم السيف قبل قطع رأسك».

يعتبر الشيخ الخلافة هي سقف الإسلام السياسي ولا يرى ما حققه تنظيم صار دولة (داعش). الشيخ منقطعٌ عن الواقع ينظر في النصوص ولا ينظر لما يجري حوله. يتحدث بأسلوب يفتقر للكاريزما، يؤمن أن الدويلات مذمومة شرعاً، وهذا حقه. ثم يقفز ويتحدث بيقين عن تجاوز الدولة القومية. يريد تصدير الخلافة ليصير العالم كله ولايات تابعة للخليفة الأوحد. لا يرى الحدود ولا يرى الجبال والبحار التي تفصل الدار البيضاء وجاكارتا، يرى المساحة منبسطة ليطأها كاملة... السؤال الاستنكاري هو: هل يتوقع شيخ جماعة العدل والإحسان أن يتنازل له الحكام الحاليون بين كازابلانكا وجاكارتا عن مقاعدهم طوعاً ليصير الخليفة الأوحد؟ بل يجب أن يتنازل له بوتين وأوباما وزعيم كوريا الجنوبية وزعيم زيمبابوي؟

أقترح عليه أن يحل مشكلته مع الخليفة البغدادي أولًا ثم نرى. وقد يتمكن البغدادي من دق عنق الخليفة الجديد.

لو توبع الشيخ بتهمة الإرهـاب للَبس ثوب الضحية، لكن السلطة تجاهلته لنراه. في الوقت نفسه تعدّل الدولة مناهج التعليم لمكافحة التطرف المنتشر بين الشباب المغاربة، بدليل ورود اسمهم في كل عملية إرهابية بأوروبا. وقد نشرت جريدة مغربية خبراً يقول إن بلجيكا سترسل أطباء نفسيين لشمال المغرب لفهم شباب المنطقة الذين يعشقون الجهاد في بروكسيل.

كيف تؤسس خلافة عالمية في ثلاثة أيام؟ ما سيناريو تحقُّق هذا الخطاب؟ يستحسن أن يكون فيه خيال ديني يقدم عبر رسوم متحركة ليجري ما يتمناه الشيخ.

دخلنا مرحلة العبث. قف.

وفي انتظار الأمنية، لنر السياق الذي نزل فيه خطاب الشيخ.

بينما ينهي حزب العدالة والتنمية ولايته الحكومية ويستعد للثانية، تجد جماعة العدل والإحسان نفسها في وضع حرج. لقد تحركت الجماعة بحذر في صفوف «حركة عشرين فبراير 2011». وكانت الحركة تطالب بإسقاط النظام والفساد وإقامة ملكية برلمانية. وقد كتب موقع حركة فبراير يدافع عن الجماعة في وجه خصومها. ومع تطور الصراع وتمكّن السلطة في المغرب من طرح دستور جديد ووصول حزب العدالة والتنمية لرئاسة الحكومة، تبدد الزخم حول الحركة. وقد كانت الجماعة هي القوة الضاربة في الاحتجاج، لبلاغة نشطائها وكثرتهم في مهاجمة النظام. وكانت الجماعة في نقدها للفساد والاستبداد قريبة من مواقف اليسار الجذري المغربي الذي يريد تحويل المغرب إلى جمهورية.

كانت الجماعة تهاجم، وهذا وضع مريح. حديث الشيخ كشف ما تدافع عنه، وهو الخلافة على منهج النبوة التي تأخرت كثيراً مع أنه كان ينبغي ألا يزيد التأخر عن ثلاثة أيام. هذا الموقف له تبعات:

– أولًا، سيباعد حلم الخلافة بين الجماعة وحلم جمهورية اليسار الجذري الذي صار يعتبر «النظام المخزني» أرحم من الإسلاميين.

– ثانياً، سيمكّن النظام من تصنيف الجماعة. عادة يوصف انتقاد الجماعة بأنه تملق للسلطة. لكن مع خطاب الشيخ، سيصير التسامح مع مواقف الجماعة مستحيلًا من طرف من يبحث عن توظيفها لصالحه ضد السلطة.

– ثالثاً، تطرح الخلافة الكونية تحديات على شبيبة الجماعة الذين بلغوا سن الأربعين. على هؤلاء الشباب التبرؤ من هذا الخطاب أو تحمل وزره والانقطاع عن الواقع. كانت نادية ياسين صلة وصل بين الجماعة واللحظة. منذ مات الزعيم والدها وحاميها اختفت من المشهد دفعة واحـدة. فرجال الجماعة لا يريدون امرأة في الواجهة.

طيب، ما خيارات شباب الجماعة الذكور الذين أزال الشيخ العبادي قشرتهم الحداثية؟

من هؤلاء، رئيس الدائرة السياسية للجماعة الذي يعتبر النظام السّياسي المغربي مستبداً ويستخدم ديموقراطية الواجهة. وكأن خلافة دق الأعناق غاية في الديموقراطية. يبدو أن هناك أزمة معجم لدى الجماعة. ومنهم الكاتب العام للقطاع الشبابي لجماعة العدل والإحسان الذي يعتبر نفسه طليعياً.

ما معنى الطليعة؟ إبحثوا من فضلكم.

من خلال ردود فعل شباب الجماعة، نجد فريقاً يوضح ويزعم أن الشيخ معجم، الشيخ لم يفهم صح. وهو لا يقصد ما قال في خطبته بالعربية الفصحى. قد أصدر الشيخ توضيحاً منذ أيام، في 14 الشهر الجاري، يتهم المغرضين الذين قادوا حملة مسعورة على الجماعة. (لهذا صلة بالمعجم السابق: مسعورة من السعار وهو مرض كلبي). وفي اليوم التالي نشر موقع الجماعة تصريح الشيخ «الخلافة لا تأتي من فوق ولا تتحقق بالعنف»، ولا بد من أجيال لتحقيق ذلك. أي موعدنا بعد قرن لا بعد ثلاثة أيام.

وفريق آخر يلجأ للصمت عن التناقضات التي تشل الجماعة. الصمت وتجميد العضوية لعدم الجرأة على إعلان الانسحاب. فالانسحاب أو الانشقاق سيضعف جماعة العدل والإحسان، وهذا أمر يفتح الباب لشماتة الخصوم، خاصة الإخواني عبد الإله بنكيران رئيس الوزراء الذي يقدم نصائح علنية للجماعة. والنصيحة العلنية شتيمة كما يقال.

في العمق لن يحصل انشقاق لأن الشباب متفقون على ضرورة خلافة واحدة تخفق رايتها على العالم أجمع. وللرد على الحملة «المسعورة» تنظم الجماعة حوار الشهر مع الكاتب العام للقطاع الشبابي لجماعة العدل والإحسان حول «الشباب وأدواره الطلائعية في التغيير». جلّ شباب الجماعة طيب مؤدب ومسالم، وقد مكنتهم هذه الصفات من تحسين وضعهم الاقتصادي، وصاروا ناعمين، وهم لا يملكون شراسة شباب داعش. لكنهم شباب يظنون أنفسهم طلائعيين. حسب إريك هابسباوم في كتابه «عصر الإمبراطورية»، فالطليعية فن جديد يعبّر عن عدم الرضى عن الماضي. يبدو أن المعنى المعجمي للطليعية مناقض لما عند جماعة العدل والإحسان!

محمد بنعزيز

كاتب وسينمائي من المغرب

«إلى الأبد»

النغمة ليست مقتصرة على الزعماء العرب! نتنياهو أيضاً يستخدم «إلى الأبـد»، وإنما بصدد الجولان. وسبق له أن قالها بخصوص القدس عاصمة إسرائيل «الأبدية». لم يسأل نفسه عن ابتذال التعبير وعقمه، بما أنه وجماعته هم أبطال فبركة التاريخ واستيلاده «براهين» على صحة ما يدّعون.. بلا خوف من تهمة العته.

وأما الواقع الذي يدّعي نتنياهو أنه «حان أوان إقراره بعد 50 عاما» (أوف!) فهو احتلال الهضبة في حرب 1967، ثم إعلان تل أبيب ضمّها بنهاية 1981، منفردة وبالضد من العالم كله، بقوانينه التأسيسية، وبأممه المتحدة وقراراتها، وبدوله كلها بما فيها الحلفاء الأقـرب لها. الحجة وقتها كانت أن الجولان مهم من الناحية العسكرية الإستراتيجية لأمنها، فهو مطلّ على كل فلسطين المنبسطة أمامه فيمكن رؤية عكا وحيفا على البحر من أعلاه. ثم دُفع بحجج المياه، ثم الزراعة ثم السياحة.. كدلائل أيضاً (جديرة بالفكر الاستعماري) على القدرة على تطويره. وأما «عشرات المعابد اليهودية» التاريخية التي يحتويها، فحجة مبتكرة منذ أيام للقول إنه «كان جزءاً من أرض إسرائيل القديمة»، وأنه كان لـ «19 عاماً تحت الاحتلال السوري»!

من بقي من سكان الجولان على أرضهم (حوالي 20 ألفاً من أصل ما أصبح 800 ألف نازح في الداخل السوري اليوم)، رفض بعناد استلام الجنسية الإسرائيلية وبقي مكتفياً ببطاقة «إقامة دائمة» هشة. وكانت صدرت فتاوى من مشايخ الدروز، وهم أغلبية السكان، بالتحريم. وقد جرى استجلاب 20 ألف مستوطن أغلبهم من الروس إليه.

يمكن لنتنياهو أن يعقد ما يشاء من اجتماعات لمجلس وزرائه في مستوطنة بالجولان، ويمكنه أن يقول لكيري بعد أوباما، ثم لبوتين، ما يشاء، ويمكنه أن يحلم بالجولان كـ «جائزة ترضية» مقابل الاتفاق النووي الأميركي الإيراني، أو مقابل «عدم معارضته» المحادثات الدائرة في جنيف بشأن سوريا.. تبقى هضبة الجولان «محتلّة»، وإلا فعلى إسرائيل المطالبة بكل أرض عليها كنيس قديم (على فرض!).. وهذا يعني العالم كله.

نهلة الشهال

العربي السفير
21 نيسان 2016 ـ العدد 13348
Thursday April 21, 2016

متابعات

1.6 مليون عامل أجنبي في قطر يشكلون 94 في المئة من حجم القوى العاملة هناك الذي ارتفع بنسبة 33 في المئة بين عامي 2011 و2015 مع الاستعدادات لاستضافة كأس العالم لكرة القدم عام 2022.

داعش في اليمن :مشروع في إطار البث التجريبي

أحمد السوداني – العراق

في تشرين الثاني / نوفمبر الماضي، أصدر تنظيم الدولة (داعش) بياناً عبر قنواته الإعلامية على شبكة الإنترنت دعا فيه القاعدة وزعيمها في جزيرة العرب (قاسم الريمي) إلى مبايعة البغدادي كخليفة للمسلمين، وإلى قتال 3 أطراف حددها البيان، وهي نظام هادي، وقوات التحالف، والمقاومة الشعبية. وكان ذلك لافتاً، كون تلك الأطراف جميعا تقف ضد خصوم داعش الطائفيين، والذين اعتبرهم في بيانات أخرى الخصم الأول في اليمن، أي جماعة الحوثيين. فالرئيس هادي والموالون له وداعموه من قوات «التحالف العربي» الذي تقوده السعودية في اليمن ضد مسلحي الحوثيين وحليفهم صالح (الرئيس اليمني السابق)، والمقاومة الشعبية التي تُسمّى بها الجماعات المسلحة التي تقاتل إلى جانب قوات الرئيس هادي وذلك التحالف، هي قوى تقاتل جماعة الحوثيين التي سبق لداعش تدشين وجوده في اليمن باستهداف مساجد محسوبة عليها بصنعاء، وتوعدها بالمزيد من الضربات الموجعة.

صراع القاعدة وداعش؟

في الوقت نفسه، اتهم البيان تنظيم «القاعدة في جزيرة العرب» الذي يتخذ اليمن مركزاً لأنشطته بتسليم المناطق «المحررة»، أي تلك التي يسيطر عليها، كمدينة المكلا جنوب اليمن، إلى «الطواغيت» (وهي لا زالت تحت سيطرة القاعدة ولم يسلمها لأحد)، واتهمته بأنه لا يحكم المناطق التي يسيطر عليها وفقا لشرع الله (على حد تعبيره)، وأنه يقدم تنازلات «بغرض المصلحة» من دون أن يوضح طبيعتها. وهذا إعلان ضمني آخر باعتبار القاعدة في اليمن خصما له، ما يرجح احتمال نشوب صراع بينهما لاحقاً لأن مربعات استقطاباتهما مشتركة.

في العام المنصرم أيضاً، استطاعت ضربات الطائرات من دون طيار الأميركية قتل زعيم تنظيم القاعدة القوي في اليمن ناصر الوحيشي، ومجموعة من رموز القاعدة البارزين. وقد عرف عن الوحيشي رفضه مبايعة البغدادي وسلوك داعش بشكل عام، وبأنه يعتبر نفسه استمرارا لمدرسة أسامة بن لادن التي لا تتبنى القتال على أسس طائفية بين المسلمين لاعتبارات عديدة. هذا النهج الذي بذره الوحيشي فرض نفسه على خليفته، قاسم الريمي، فواصله، رغم ما عرف عنه من ميله لداعش قبل وراثته قيادة الجماعة. ساعد مقتل الوحيشي داعش كثيرا في الازدهار، كون تفكيك قيادات القاعدة أدى إلى هجرة بعض أعضاء القاعدة إلى تنظيم داعش الأكثر تطرفا. وهو ما يُلمح من دون رصد دقيق بحكم ظروف الحرب في البلاد.

لكن، وعلى الرغم من تبنيه لعدد من العمليات الإرهابية دقيقة التنفيذ في كل من صنعاء وعدن، فلم يمتلك داعش الحاضنة الاجتماعية، لأن القبائل اليمنية قد تناصر القاعدة لإستيائها من أداء السلطة عموما ـ وهو ما تعززه القاعدة في خطابها المحلي ـ ولكن أهم من ذلك، لأن القاعدة لا يستعرض عنفه بتلك الطريقة الوحشية التي يقوم بها داعش. بل وصل الأمر بالقاعدة لحد إدانة بشاعة داعش، ويسارع تنظيم القاعدة لنفي تورطه في عمليات من هذا النوع، كما حدث في عملية استهداف مشفى العرضي في صنعاء نهاية 2013.

.. وتداخلات

يحاول داعش إثبات وجوده ككيان على الأرض، وليس كأداة تنفيذية لعمليات مستقلة. فقد أعلن أواخر تشرين الثاني / نوفمبر الماضي عن تخريج 3 دفعات من منتسبيه في دورات تدريبية قتالية في محافظات يمنية جنوبية (أبين، عدن، حضرموت)، وكشف للمرة الأولى عن وجود عناصر مدربة له في اليمن، بعد تبني عمليات إرهابية عبر تويتر. ثم نفذ بعد ذلك أبرز عملية اغتيال استهدفت محافظ عدن جعفر سعد. وقبل إعلانه تخريج متدربيه من تلك الدورات، كان هناك تواجد لافت لقيادي شهير في أنصار الشريعة (قاعدة اليمن) هو جلال بلعيدي في محافظة أبين التي أجريت فيها إحدى الدورات. وبلعيدي سبق وأن كان وراء أبشع عملية تصفية لجنود يمنيين في محافظة حضرموت العام الماضي، حيث ذُبح 14 جنديا بالسكاكين وسجلت العملية صوتاً وصورةً، وهي أول عملية تشبه سلوك داعش، على الرغم من عدم تبني هذا الأخير لها، وقد قتل بلعيدي قبل أشهر بطائرة أمريكية من دون طيار.

وبشكل عام تتنافس القاعدة وداعش في اليمن والمنطقة، وكل منهما يحاول تبني ما يعتقده نقاط قوة لدى الآخر. فقد تغيرت سياسة القاعدة التي كانت تعتمد على «جهاد النكاية»، أي الاكتفاء بإلحاق الأذى بالخصوم، نحو «جهاد التمكين»، أي السيطرة على الأرض كمشروع دولة، وهذه كانت سمة خاصة بداعش. وعلى العكس، انتقل داعش من سياسته التوسعية على الأرض في العراق وسوريا إلى عمليات إرهابية متفرقة يقوم بتبنيها عبر تويتر غالبا، أي أنه ينتهج ما كان سلوكا خاصا بالقاعدة.

كما أن المال لم يعد ميزة لداعش لوحدها، بعد أن أصبح للقاعدة مواردها المالية الضخمة منذ سيطرتها على المكلا وما حولها (نيسان/ أبريل 2015)، بما فيه موانئ نفطية، وأصبحت إيرادات المكاتب الحكومية بالمكلا (عاصمة حضرموت) تصل إلى قبضة التنظيم.

داعش؟

وعلى الرغم من أن داعش كتنظيم هو انشقاق عن القاعدة التاريخية، وليس ناشئا مستقلا ولا جديدا من حيث الثقافة الأساسية، إلاّ أن هناك فارقان أساسيان بينهما يتعلقان بآلية تنفيذ العمليات الإرهابية ودرجة عنفها، وأدبيات الجهاد التي أعطى فيها داعش الأولوية لقتال الخصم الطائفي بحكم نشأته بالعراق وصراع القوى السياسية المنقسمة مذهبيا هناك. وقد مثّل تمدد الحوثيين في اليمن (كخصم طائفي وموالٍ لإيران) فرصة سانحة لدخول الأرض التي سيخرج منها «جيش عدن أبين» كما ورد في الموروث الديني. وقد دشن داعش وجوده في اليمن بعمليات انتحارية استهدفت مساجد موالية للحوثيين بصنعاء (21 آذار/ مارس 2015) باعتبارهم خصمه الأساسي و»مساجدهم تتبع الروافض» (على الرغم من عدم وجود مساجد منفصلة لأي فئة دينية باليمن باستثناء الطائفة الإسماعيلية وبعدد محدود جدا). إلاّ أن داعش نقل نشاطه الرئيسي لاحقا إلى العاصمة المؤقتة، عدن، التي يفترض أنّها مقر السلطة «الشرعية» صديقته وفقا لمبدأ «عدو عدوي صديقي» باعتبارها تقود الحرب ضد الحوثيين.

وحتى مصرع أبي أيوب الأنصاري في 29 آذار / مارس الماضي، الذي وصف كقائد لداعش في اليمن، لم يكن هناك اسم يمني يقترن بداعش أو يتحدث باسمه، وذلك على الرغم مما أعلنه مجهولون أطلقوا على أنفسهم اسم «مجاهدو اليمن» في تشرين الثاني/ 2014 نوفمبر من مبايعتهم تنظيم الدولة الإسلامية وزعيمه أبو بكر البغدادي. ولا يمكن حتى الآن تقدير قوة داعش كأفراد، كما لا يبدو أنه يضم أجانب كما اشتهر عنه بالعراق وسوريا، بل يمنيين فقط.

في تموز/ يوليو 2014، وبعد سيطرة جماعة «أنصار الله» (الحوثيين) على مدينة عمران في طريقهم إلى صنعاء، وَصفت قيادات الجماعة، بمن فيها عبد الملك الحوثي، خصومها بالدواعش لأول مرة. كانت تلك دعاية تسويقية لداعش اليمني، قبل أن يكون له أي نشاط معلن، وقبل تبنيه لأي عمل إرهابي في اليمن، حيث اقتصر التوصيف سابقا على»التكفيريين» في إشارة إلى التيار السلفي المقرّب من السعودية، أو تنظيم الإخوان المسلمين المنضوي في حزب الإصلاح الإسلامي، وهم الخصم الإيديولوجي للحوثيين بسبب الصراع على أهداف ومصالح ذات طابع سياسي بالدرجة الأولى. لكن عموم اليمنيين تعاملوا مع ذلك التوصيف كمجرد تشبيه للخصوم بكيان إرهابي مشهور بالبشاعة والقتل، وكطريقة لرفض القبول بالآخر. حينها لم يكن هناك أيّ تواجد ولو رمزي لتنظيم داعش على الأرض اليمنية، وبدا تصريح الحوثي كتدشين علني لعملية صراع له منحى طائفي صريح، ويهدف لاستقطاب المقاتلين على أساس طائفي أيضا.

استغل داعش حالة الحرب المستمرة في اليمن للتواجد في البلاد. وساعدته عمليات التبشير المجاني بقدومه من قبل الحوثيين أو من قبل بعض المحللين الذين تحدثوا عن هجرة مقاتلي داعش من العراق وسوريا إلى اليمن، وهو ما لم يثبت، فهو ليس بحاجة حقيقية لاستقدام مقاتلين من خارج اليمن لأن العراق وسوريا هما ساحتاه الأساسيتان حاليا، ولأن اليمن يتميز بسهولة جذب وتجنيد المقاتلين المحليين بل وجاهزيتهم القتالية وعدم احتياجهم لتدريب طويل حتى يصبحوا مقاتلين محترفين، لاعتياد البلاد على الصراعات المتعاقبة وانتشار السلاح فيها بشكل كبير.

لكن هذه الحرب التي مهدت لقدوم داعش قامت بدور معاكس ومهم لعرقلة صعوده بشكل سريع أو تحوله إلى طرف مستقل له تمثيله وأهدافه الخاصة. ذلك أن السعودية و»التحالف» الموجود عسكريا في اليمن منذ 26 آذار/ مارس2015 قام بتوحيد أطياف المقاومة الشعبية ضد الحوثيين وحليفهم صالح تحت قيادته. على أن الأمر لم يستمر، إذ حولت أطراف المقاومة عدن بعد سيطرة التحالف و «الشرعية» عليها في تموز/ يوليو2015 إلى مدينة أشباح، تعيث فيها قوى منفلتة لم يتم ضبطها حتى الآن، لتتصدر المدن غير الآمنة وفقا لعدد عمليات الاغتيال والتفجيرات الانتحارية والسيطرة على مبان حكومية.. أي أنّ داعش يحاول الخروج من عباءة التحالف بعد أن استنفذ فائدته المرحلية منه، ويعمل لوجوده الدائم ضد وجود التحالف المؤقت.

هل هو داعش أم هي القاعدة؟

لقد حوّل داعش – ولا يزال – عدن إلى ثقب خطير في جدار الشرعية، وإلى فشل ذريع للرئيس هادي وللتحالف معاً، لعجزهما عن ضبط مدينة صغيرة كعدن وتخليصها من سيطرة الجماعات المسلحة المنفلتة، التي كانت أساسا جزءاً من مقاتليهم ضد الحوثيين وأنصار صالح، ثم تحولت إلى مجموعات إرهابية تستهدف السلطات الرسمية بشكل مباشر، واغتالت في تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي أبرز قياداتها (اللواء جعفر سعد) الذي قاد هذه المجاميع ضد الحوثيين، ثم قتل على يدها، وقد تبنت اغتياله رسمياً في إعلان لها كفرع لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، كما أعلنت من قبل استهداف رئيس الحكومة ونائب الرئيس السابق خالد بحاح وأعضاء في حكومته في مقر إقامتهم بعدن، وحاولت أكثر من مرة الاستيلاء على عدة مؤسسات حكومية كميناء الزيت بالبريقة.

في 22 كانون الأول / ديسمبر الماضي، وفي إحاطته لمجلس الأمن حول الوضع اليمني ، أبدى المبعوث الأممي اسماعيل ولد الشيخ قلقه من استمرار الحرب في اليمن لما تؤدي إليه من صعود القاعدة و «داعش». لكن، وعلى الرغم من كل هذه المؤشرات على وجود داعش في اليمن، فإن قائمة الجماعات الإرهابية التي صدرت عن الاجتماع الموسع في الرياض منتصف كانون الأول / ديسمبر ذاك، الذي أعلن فيه عن «التحالف الإسلامي لمحاربة الإرهاب» المكون من 34 دولة، خلت من أية إشارة إلى داعش اليمن، واكتفت بذكر تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وجماعة الحوثيين، والإخوان المسلمين كثلاث جماعات مستهدفة، اثنتان منها يمنيتان جغرافيةً وقيادة (القاعدة والحوثيين)، والثالثة (الإخوان المسلمون) تتواجد ضمنيا في إطار حزب التجمع اليمني للإصلاح.

وباستثناء عملية قتل 27 أسيرا من الحوثيين (حسب إعلان «داعش») بأكثر من طريقة، وبأساليب وحشية، كتفخيخ قارب حمل 7 منهم، فإن كل عمليات التفجيرات والاغتيالات التي تبناها «داعش» نفذت وفق أسلوب تنظيم القاعدة نفسه الذي ينتهج أساليب إرهابية بشعة أيضا، لكنها لا توحي بالتفاخر بتلك البشاعة كما هي حال داعش.

في أواخر كانون الأول / ديسمبر 2015 ، نشر أحد أعضاء تنظيم داعش في اليمن شريط فيديو يوضح طبيعة تنظيم الدولة الإسلامية في البلاد. لعل أهم ما كشف عنه الفيديو هو الصراع الشرس الذي يجري داخل التنظيم على القيادة والإدارة، وتنازع النفوذ بين مختلف قياداته، وطبيعة علاقتهم الملتبسة مع تنظيمات أخرى كتنظيم الشريعة، وعلاقة التنظيم قيد التكوين مع التنظيم الأم في العراق. إضافة إلى ذلك، فالفيديو الذي يبدو أن ناشره انشقّ عن قيادة الدولة الإسلامية، جاء ضمن مسلسل صراع داخلي طويل، تتضح في بعض تفاصيله طبيعة بعض التمويلات التي حظي ويحظى بها التنظيم الذي يحاول أن يصعد مع أفول الدولة وأجهزتها في اليمن، وتنامي الميليشيات منذ إحكام الحوثيين قبضتهم على العاصمة صنعاء في أيلول / سبتمبر 2014. ودلالة هذا الفيديو الرئيسة تتمثل في التسلق السريع لأعضائه المستقطبين قبل ترسخ قناعاتهم بمبادئه وأهدافه وأساليبه، وعجزه عن تأسيس نواة صلبة تدير شؤونه في اليمن حتى الآن.

على أية حال ، سيخدم وجود داعش في اليمن كل الأطراف التي لا ترغب في عودة الاستقرار. وليست الهجمات المتكررة لداعش إلاّ تسويقا مرحلياً للتنظيم في بيئة مضطربة وصانعة لقوى جديدة بحكم غياب الدولة، حيث بدأ مشروع داعش باستقطاب عناصر القاعدة الأكثر تشدداً ويطمحون بتأسيس كيان لهم . وهذا على الصعيد النظري ممكن، بعد سيطرة القاعدة على المكلا عاصمة أكبر المحافظات اليمنية مساحة (حضرموت) منذ نيسان/أبريل الماضي، وبالمقابل محدودية نشاطها العنيف هناك مقارنة بحجم الإنجاز الذي حققته، مما يثير حفيظة الأشد تطرفا من بينها.

هناك بيئة مثالية لنشوء تنظيمات إرهابية متعددة بأجندات مختلفة، كما لا تزال الظروف مثالية للأعمال الإرهابية في بلد يعاني حربا مزدوجة. ومع استمرار الحرب، هاجر عموم اليمنيين إلى دوائر أكثر ضيقا وتطرفا من دوائرهم السابقة، فغادر كثير من «الإصلاحيين» (أي إخوان اليمن) إلي السلفية، وغادر كثير من «المؤتمريين» (حزب الرئيس السابق صالح) للانضمام للحوثيين، وغادر بعض السلفيين للانضمام للقاعدة.. وفي السياق نفسه، ينتقل بعض أعضاء القاعدة إلى «داعش».

فارع المسلمي

باحث من اليمن

بيتونة

قال النازح الصغير..

ليش يسمّونك المِيل الصغير؟ سألني الشايب وهو يفسح لي طريقاً داخل منزله. في الغالب لا أجيب على سؤال كهذا، أدگ الباب ويفتحولي، يصعّدوني للسطح أشوف بيش (كم) الساعة وأنزل. أشكرهم ويبتسمون لي. بعضهم يمِلّ من ترددي عليه فيعطيني تمّن (رز) ومرق أو تفاحة وخيارة، ويعتذر لي بعضهم ويغضب آخرون ويقولون: من أنت ولماذا تطوف الحي كل يوم؟ إذا أردتَ معرفة الوقت فالساعة الآن الخامسة والربع. لكن أكثرهم قد تعوّد عليّ وأحبني. صاروا يعاملونني كلعبة تتدحرج في أزقتهم، فأنا عمري عشر سنوات، أدگ الباب ويفتحولي، يصعّدوني للسطح أشوف بيش الساعة، وأنزل وأگوللهم شكراً ويگلولي عفواً.

هذا الشايب أول من سألني ليش يسمونك المِيل الصغير؟ خفت منه، وشعرت بأنه خاف من خوفي منه فعرفت أنه شايب طيب. أبي، ونحن نمشي، كان يقول لي لا تخاف، بس أنا بعدني أخاف، يسمونا في اللافتات «النازحون»، ومرات يسمونا «النازحين». حينما وصلنا إلى تلك الشجرة البعيدة عن هذه البيوت، استرحنا وغسلنا رجلينا وأختي الأصغر مني صلّت، الشمس الحارة دارت وظلّ الشجرة لبد ورانا، أبي قال تعالوا بالظل، وظلينا ندور مع ظل الشجرة، أمي قالت صرنا مثل الساعة وإلي يشوفنا من بعيد يستطيع أن يعرف الوقت، أبي طويل هو المِيل الكبير، وأخواتي بالأربعة وبتلاثة وبالوحدة وبالثِنتين، الأكل والجنط (الحقائب) والقمصان حول الشجرة محيط الدائرة، وأبي ينام وينهض ويزحف مع الظل وأنا بجانبه عشر دقائق أو دقيقتين وأحياناً أصير نصف ساعة، كنا ساعة لا تراها إلا الطيارات والبيوت البعيدة من فوق السطوح.

أنا هربت من الساعة منذ الخميس الماضي ورحت إلى البيوت البعيدة ولعبت مع الجهّال (الأولاد)، ومرات أريد أشوف الساعة، أروح وأدگ الباب ويفتحولي، يصعدوني للسطح أشوف بيش الساعة وأنزل.

صعدت مع هذا الشايب لأرى الساعة، شاهدت ولداً كنت ألعب معه وقلت له لماذا أخبرت جدك بأنني المِيل الصغير؟ لم يجبني، صعدوا كلهم معي إلى السطح، رفعوني حتى أرى الساعة وأضبط الوقت، أعرف أنه لن يكون مضبوطاً دوني أنا المِيل الصغير، لكني دائماً أحزره، أدگ الباب ويفتحولي، يصعدوني للسطح أشوف بيش الساعة وأشوف الشجرة والمِيل وأنزل.

هذه المرة قلت لهم أرفعوني أكثر، لكنهم أنزلوني، قالوا إن السماء تمطر والساعة مالتكم (التي لكم) راحت.

نص ورسم مرتضى كزار

قضية

61 في المئة نسبة الأمية بين الإناث في السودان، بينما لا ينهي إلاّ 26.1 في المئة من الفتيات تعليمهن، وفق اليونيسيف. وفي السودان 3 ملايين طفل ممن تتراوح أعمارهم بين 5 و13 عاماً لا يرتادون المدارس.

دارفور تعود إلى صدارة المشهد السوداني

مرّ على ضم دارفور إلى السلطة المركزية في السودان قرن كامل من الزمان، ومرّ على انطلاق التمرد العسكري في دارفور 13 عاماً. وهو يبدو قد انحسر كثيرا بعد الضربات التي وجهتها القوات المسلحة مدعومة بالمليشيات المساندة، إلى كل من «حركة العدل والمساواة» العام الماضي، وكذلك إلى «حركة تحرير السودان – فصيل عبد الواحد نور» هذا الشهر، وكان يتمركز في منطقة جبل مرة الإستراتيجية، وقبل ذلك إلى الفصيل الآخر، جناح منى مناوي. ومع أن هذه الضربات أضعفت إلى حد بعيد الثقل العسكري للتمرد، إلاّ أنها لم تقضِ عليه نهائيا إذ لا يزال هناك شعور، صدقا أو توهما، أن أقليم دارفور يعاني من تهميش في ما يتعلق بقضايا السلطة والثروة، وأن الاتفاقيات التي تمت والإجراءات المتخذة لم تخاطب جذور القضية بالصورة الكافية، بما يضع نهاية للتمرد ويسمح بعودة الاستقرار إلى الإقليم الذي يعتبر حاليا أكبر أقاليم السودان سكانا.

الحكومة من جانبها استمرت في نهجها القائم على المشاركة في أي جهد عبر وساطة إقليمية أو دولية من دون أن يؤثر ذلك على الخطوات الانفرادية التي تقوم بها، وذلك من منطلق أنها لا يمكن أن تنتظر موافقة الحركات إلى ما لا نهاية، غامزة من قناتها بأن مصالح قيادات هذه الحركات لا تتطابق بالضرورة مع مصالح سكان دارفور، بدليل حالة الانشقاقات المتتالية في صفوفها، التي بدأت بحركتين ثم تتالت وتناسلت في حالة انشقاقات لدرجة يصعب معها حصر العدد النهائي، وهو ما يعكس رغبات وتطلعات ذاتية لبعض المنتسبين لهذه الحركات.

عمر كمال الدين الطيب – السودان

إقليم واحد أو ولايات

وبسبب هذه الموقف، اتجهت الحكومة إلى المضي قدما في إجراء الاستفتاء الإداري وسؤال سكان دارفور عمّا إذا كانوا يريدون إقليما واحدا أو ولايات متعددة. الحكومة تعتبر هذا الاستفتاء آخر استحقاق دستوري نصت عليه اتفاقية الدوحة، وبالإجابة عليه يكتمل تنفيذ الاتفاقية خاصة أنها محددة بسنوات خمس تنتهي هذا العام، مما يعني عمليا ـ من وجهة النظر الحكومية ـ نهاية قضية دارفور التي اكتسبت حضورا عالميا غير معهود في العقد الأوّل من هذا القرن وصل إلى إصدار قرارات عدة من مجلس الأمن الدولي، بعضها تحت الفصل السابع، بل وتضمنت إحالة الملف إلى المحكمة الجنائية الدولية فأصدرت مذكرة توقيف بحق الرئيس عمر البشير الذي تحدى أوامر القبض عليه، بل سافر إلى دول موقعة على ميثاق روما الذي يلزم الدول الأعضاء بالتعاون مع المحكمة وتنفيذ قراراتها، ومن بينها إلقاء القبض على البشير وتسليمه لها ليحاكم في لاهاي.. ونجحت السلطات السودانية في حشد المساندة الإفريقية خلفها لدرجة أن الاتحاد الإفريقي أصدر قراراً أدان فيه توجهات المحكمة بالتركيز على القادة الأفارقة، وأنّه بالتالي يطلب من الدول الإفريقية عدم تنفيذ قرارات المحكمة الخاصة بمذكرات التوقيف. واستناداً إلى هذا رفضت حكومة جنوب إفريقيا اعتقال البشير العام الماضي عندما زار جوهانسبرغ، الأمر الذي أثار عاصفة سياسية وقضائية لحكومة الرئيس جاكوب زوما...

يقع إقليم دارفور في غرب السودان، ويمتد على مساحة تقارب نصف مليون كيلومتر مربع، ويجاور كلا من تشاد وليبيا وإفريقيا الوسطى وجنوب السودان. وبسبب ضعف البنى التحتية والتداخل السكاني مع دول الجوار، فإن ما يجري في دارفور يصبح بصورة ما جزء من النزاعات الإقليمية. على أنّ هذا الموقع الجغرافي المميز كانت له إيجابياته أيضا. فعلى امتداد أربعة قرون قامت في دارفور ممالك اتصلت بالممالك الإسلامية في المغرب العربي وتوطدت بانتشار الطريقة الصوفية التيجانية، كما ارتبطت بممالك وحضارات في وادي النيل وطريق الحج ودرب الأربعين إلى مصر، بل وعرف عن دارفور على عهد السلطان علي دينار في مطلع القرن العشرين أنه كان يرسل الكسوة إلى الكعبة الشريفة. وأدت العزلة النسبية التي عاشها الإقليم إلى حدوث تطور ذاتي في قضايا الحكم والإدارة، وتلبية الاحتياجات المختلفة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، ولو أنها تأثرت بعلاقاتها تلك مع الجوار شرقا وغربا. على أنّ الهجمة الخارجية من النظام التركي في القرن الثامن عشر، وفيما بعد من الإنكليز الذين ضموا دارفور إلى السودان في العام 1916، خوفا من أن يتحالف السلطان علي دينار مع تركيا خاصة وأنّ الحرب العالمية الأولى كانت مستعرة، أدت إلى حدوث انقطاع في عملية النمو الذاتي للأنظمة والمؤسسات المحلية، وهو ما كان له تأثيره فيما بعد، خاصة مع التعدد الديموغرافي والتنوع الإثني الناجم عن وجود مجموعة يغلب عليها الدم الزنجي وتُمثلها قبائل الفور والمساليت والزغاوة والبرتي، وهي تنحو نحو الاستقرار والعمل في الزراعة، وأخرى عربية، وتركز على النشاط الرعوي، وتنقسم بين البقّارة (من البقر) والأبّالة (من الأبل)، وأبرز قبائلها الرزيقات والتعايشة والهبانية والمحاميد والماهرية. ولو ان الثقافة العربية الاسلامية تظل القاعدة المشتركة التي تجمع الاثنين. وأبان تصاعد الصراع في العقد الماضي، كان يتم تبسيط الوضع على أساس أنّه صراع بين «الزرقة» (حيث يغلب الدم الزنجي) والعرب، وأن الحكومة بسبب خلفيتها العربية تنحاز ضد الزرقة.

ومع أن الإقليم يتميز بتنوع بيئي من الصحراء إلى هضبة جبل مرّة إلى السهول الرملية والطينية، إلا انه تعرض إلى موجات متتالية من الجفاف والتصحر في عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، مما أدى إلى حالة نزوح ضخمة، وتكدس للمجموعات البشرية في مساحات ضيقة جغرافيا، ومن ثم اشتعال التنافس القبلي على الموارد الطبيعية المحدودة، خاصة بين الرعاة والمزارعين. واتضح عجز الهياكل القائمة على استيعاب هذه التطورات، وهو الملمح الأساسي الذي ميّز العقود الثلاثة المنصرمة. وفاقم هذه الحالة تضعضع النسيج القبلي، وعملت الإدارة الأهلية المستندة إلى البعد العشائري على ضبط الوضع الأمني، وتنظيم حيازة وإدارة الأراضي، وتمثيل الدولة على المستوى القاعدي، لكن سلطتها ضعفت أثر قيام الرئيس الأسبق جعفر النميري بإلغاء الإدارة الأهلية وبدون توفير بديل إداري قادر على حفظ الأمن وجمع الضرائب، وهي الحالة التي تفاقمت بسبب عدم الاستقرار السياسي.

متغيرات

عملية الاستفتاء أجريت وستعلن نتائجها بعد أيام، وظهر أن مقاطعة الحركات والمعارضين عموما لها قد لا تؤثر كثيرا على الواقع الجديد. ومع أنّ الجدل حول هل تصبح دارفور إقليما واحدا أو ولايات متعددة، الذي أصبح مطروحا على طاولة التفاوض، يعود إلى انطلاق التمرد العسكري ومحاولة الاقتداء بجنوب السودان الذي كان يرى أنه من الأفضل له التعامل مع الشمال كإقليم مقابل إقليم، فقد أثبتت التطورات اللاحقة أن لخيار الولايات المتعددة مناصروه كذلك، إذ يتيح الفرصة لوجود خمسة ولاة للولايات الخمس وكذلك خمس حكومات وما يتبعها من معتمدين وغيرهم، مما يزيد من حجم «كعكة» السلطة القابلة للتقسيم، بمقابل إقليم واحد بوالٍ واحد وحكومة واحدة. ويضيف آخرون أنه إذا كانتْ دارفور تشتكي من هيمنة المركز في الخرطوم، فإن الإقليم الواحد يعني أنّ على مواطني دارفور بمختلف مناطقها التعامل مع مركز آخر يوجد في الفاشر، عاصمة الإقليم، وذلك بدلا عن تقصير الظل الإداري وتقريب مؤسسات السلطة من المواطنين في مختلف البقاع. هذا بالإضافة إلى تزايد الوجود الدارفوري في السلطة المركزية في الخرطوم، ويقدر البعض أنه بلغ الثلث.

ورغم مضي الحكومة قدماً في موضوع الاستفتاء وإعلانها أن اتفاقية الدوحة وصلت إلى خواتيمها، إلاّ أنّ ملف دارفور لم يقفل بعد، بدليل أنّ خريطة الطريق التي أعدّها الاتحاد الإفريقي لحسم قضايا السودان العديدة ووضعه على طريق التعافي تتضمن تفاوضا مع حركات دارفور المتمردة الرئيسية الثلاث، وهي الخريطة التي وافقت عليها الحكومة، بينما لا تزال الحركات المتمردة تنتظر بعض التوضيحات والإضافات للتوقيع. وإذا حدث ذلك، فستبدأ جولة أخرى من المفاوضات، الأمر الذي سيعيد الجدل حول مختلف قضايا دارفور إلى المربع الأوّل. ويبقى أمام الحكومة كيفية ترجمة تقدمها العسكري الى مكاسب سياسية قادرة على تحقيق قدر من الاستقرار ظلت دارفور تفتقده لأكثر من ثلاثة عقود.

السر سيد أحمد

كاتب صحافي من السودان مختصّ بقضايا النفط

تونس: الاقتصاد السياسي للفساد

بعد خمس سنوات على «ثورة الكرامة» التي رُفع فيها شعار «التشغيل استحقاق يا عصابة السراق» كردّ عام على استشراء الفساد وتمدده في كل النواحي، يتأكد اليوم أن «إمبراطورية الفساد» في تونس لم تسقط، بل أن أباطرتها قد ازدادوا نفوذاً وباتوا يشكلون قوة مؤثرة تستفيد من «الديموقراطية الناشئة» وتتأقلم مع التحولات السياسية والاقتصادية القائمة، مستغلة الهوامش والمساحات الفارغة.

ويمارَس الفساد في تونس ضمن علاقة تبادلية مع النطاقات السياسية والإدارية والاقتصادية، إلى الحد الذي بات معه من الصعب فصل التشابك بينهم، وهو ما تؤكده فضيحة «أوراق باناما» العالمية، إذ يتصدر سياسيون تونسيون يرفعون شعارات «مقاومة الفساد» قائمة مهربي الأموال إلى الخارج، في الوقت الذي تشير فيه تقارير دولية ومحلية إلى تضخم حجم الفساد في تونس وتحوله إلى ظاهرة تخترق تفاصيل المجتمع، فيتبين أن البيروقراطية الإدارية تساعد على الرشوة بنسبة 56 في المئة، وأن 27 في المئة من التونسيين يعتقدون أن الرشوة هي الحل لمشاكلهم. وقد بيّن تقرير دائرة المحاسبات لسنة 2015 حجم الفساد المستشري في قطاعات الصحة العمومية والتعليم والبنية التحتية، وأنه صار يحظى بتغطية سياسية وبتواطؤ رسمي على الرغم من الشعارات المنادية بمقاومته وعلى الرغم من تعدد الهياكل الرقابية، الرسمية وغير الرسمية، والخطوات (المحتشِمة!) للحكومة التي «تريد» تطبيق القانون لكنها تراعي خطوطاً حمراءَ موضوعة من قبل «الدولة العميقة» بمفهومها السوسيولوجي والسياسي، ولا تتمكن من تجاوزها.. الفساد في تونس هو إذاً ظاهرة كلية، وهو في الأصل أحد أدوات الحكم والتحكم الذي يهيكل العلاقات داخل المجتمع.

عبر الزمن: التغييرات

ما زالت بنية السلطة القائمة في تونس ـ مع بعض التغيرات الخفيفة بفعل «الثورة» ـ تسند إلى مرجعية تتمثل «السلطة» بوصفها غنيمة، وهو ما يجعل المجموعات المتحالفة، سواء كانت مالية أو عائلية أو سياسية، بمثابة قبائل متنفذة. كما ينطبق الأمر على الثقافة المجتمعية السائدة في الأوساط الفقيرة والمتوسطة، التي لا تتردد هي أيضا في ممارسة الفساد، عبر الرشى الصغيرة والكبيرة، للحصول على منافع أو لتحقيق رغبات، مستحَقة أو غير مستحَقة، مثل الفوز بشغل أو برخص بناء. وتدعم الأمر وتشجع عليه البيروقراطية التونسية السائدة، وريثة الاستعمار الفرنسي، بخصائصها المتمثلة بغياب النجاعة والتباطؤ المتعمد في حلحلة الملفات وغياب الشفافية، والعلاقات الشخصية والمحسوبية.

ويتعمق هذا الوضع مع «الاهتراء الاقتصادي» لفئة الموظفين المنتمية للطبقات المتوسطة، حيث بات أساتذة التعليم الثانوي، وأساتذة الجامعة، والإطارات العليا للدولة رمزا «للفقراء الجدد». وتدرك الحكومات المتعاقبة جيداً هذا الأمر، ولكنها توظفه في تمكين الحكم. أوَلم يقل محمد مزالي، أحد وزراء بورقيبة، أن «الرشوة التي يتلقاها البوليس، هي ليست رشوة بل هي تحسين وضعية»، مما يعني أن الحكومات المتعاقبة لا تمتلك بدائل تنموية حقيقية، فتستثمر في الفساد بوصفه متنفساً اقتصادياً لفئات اجتماعية وجدت نفسها غير قادرة على التغلب على مصاعبها إلا عبر الفساد المتمثل في الرشى والمحاباة والزبونية. وهي عقلية رسخها الحزب الحاكم المنحل.

كما يشتغل الفساد كأداة للابتزاز. فالمسؤولون الكبار الذين تكون لديهم ملفات فساد عادة ما تفتح ملفاتهم حين يتمردون على قرارات من هم أعلى منهم سلطة. ويقدر حجم الأموال المنهوبة في تونس بـ380 ألف مليار دولار، أي ما يعادل نصف ميزانية الدولة التي تعيش على الاستدانة الخارجية. ولم تقدر حكومات ما بعد الثورة على مواجهة المسألة بشكل جدي، على الرغم من وجود هيئة دستورية للفساد، ومحاولات المجتمع المدني وبعض الإعلاميين فضح الفاسدين. إلا أن الغطاء السياسي للفساد متين ومتنوع: أغلب الأحزاب المؤثرة في المشهد السياسي تعتمد على «الأموال الفاسدة» لتمويل حملاتها الانتخابية ولشراء الأصوات، وهو أموال مصدرها يكون في غالب الأحيان من رجال أعمال مستفيدين من التهرب الضريبي ومن الاقتصاد الأسود، إلى درجة أن تونس صارت دولة للمافيات المالية التي تمتلك الإعلام والصحف، ولها مرتزقة في كل مكان. والملاحظ أن نصف نواب البرلمان التونسي المنتخَبون بطريقة شرعية ونزيهة هم رجال أعمال خاضوا غمار السياسة بعد الثورة، ليس بفضل شعبيتهم وبرامجهم الانتخابية، بل بفضل تأثيرهم المالي على الأحزاب التي ترشحوا في قوائمها، الأمر الذي يعني أن الديموقراطية بمعناها الانتخابي لا تمنع الفساد بل من العكس من ذلك، فالفساد صار يستفيد من الديموقراطية في تونس، بالتوازي مع المنظومة الاقتصادية الليبرالية المتوحشة التي تتيح لقوى السوق أن تتنفذ بفعل المضاربات والتهرب الضريبي. الفساد في تونس صار أقوى من الحكومات!

الفساد يصنع الدولة العقابية

في ظل تغول إمبراطورية الفساد المالي الملون بطعم السياسة والديموقراطية، تتكاثر في الضفة الأخرى من تونس اليوم جيوش العاطلين عن العمل، وتزداد نسب الفقر، ويجد جزء من الشباب التونسي أنفسهم على طريق الهجرة إلى أوروبا في قوارب الموت، أو يهاجرون للقتال في صفوف داعش التي يحتلون فيها المرتبة الأولى عددياً والواجهة إعلامياً. ولا تجد الحكومة من بديل سوى السياسات الترقيعية التي ترفع شعارات فضفاضة تتعلق بـ«الحوار الوطني حول التشغيل»، وفي الوقت ذاته تتجه إلى السياسات الأمنية لمعالجة الاحتجاجات الاجتماعية.. في حين أن موضوع مراجعة المجلة الجبائية والبحث عن أطر قانونية تضمن العدالة الجبائية، ومكافحة التهرب الضريبي هي بمثابة تلك الخطوط الحمراء. وتتوافق هذه السياسة مع طبيعة النظام الاقتصادي العالمي القائم على اللامساواة ونفوذ المجموعات المرتبطة بالأسواق المالية العالمية، أو ما يمكن أن نسميه بـ «نخب العولمة»، التي صار لها نفوذ كبير في توجيه سياسات الدول.

بهذا المعنى، لا تزال «الديموقراطية التونسية» هشّة أمام «إمبراطورية الفساد» إلى الحد الذي ذهب فيه رئيس الهيئة الوطنية لمقاومة الفساد إلى القول «إن استشراء الفساد سيولد ثورة ثانية تطرد الحكومة والنواب وحتى أعضاء هيئة مكافحة الفساد». علماً أن هيئة مقاومة الفساد بوصفها هيئة دستورية لا تزال عاجزة عن فتح الملفات بفعل الصعوبات التي تواجهها، حيث يراد لها أن تكون هيئة شكلية أو هيئة «واجهة».

المنطقة الرمادية «للديموقراطية التونسية»

يرتفع صوت «المجتمع المدني» باحتشام منددا بالظاهرة، ولكن في الوقت ذاته، ثمة تسامح كبير إزاء نزعات المحاباة والزبونية والبحث عن تحقيق المصالح الفردية على حساب المصلحة العامة، والتقليص من أهمية مبدأ الاستحقاق، حيث بينت الهيئة الوطنية لمقاومة الفساد أن الانتداب في الوظيفة العمومية لا يخضع إلى معايير واضحة، وهو ما يشير إلى أن مسألة النزاهة العمومية لا تزال ملتبسة على نحو صار فيه التساهل إزاء الفساد يغذي ثقافة التسامح والتهرب من الملاحقة.. وهو ما يعيق إيجاد حل للمسألة الاجتماعية وصار يثير السخط والحنق لدى الفئات المتضررة. إلا أن المتضررين من الفساد لا يمتلكون «الأجهزة الإيديولوجية» التي تجعلهم يفضحونه ويقاومونه، بل هم يكتفون بخطاب معياري احتجاجي. بالمقابل، تعمل الكثير من وسائل الإعلام المرتبطة بالأثرياء الجدد بطريقة منظمة على «تبييض الفساد» وشرعنته والتطبيع معه. ويشكّل هذا الأمر تحديا أمام الفكرة الديموقراطية في تونس حيث من الصعب صياغة عقد اجتماعي جديد من دون «حرب» جدية وفاعلة ضد الفساد. وأما مصداقية التحالف الحاكم، المبني على فكرة التوافق، فلا يمكن أن تكون ذات جدوى من دون الخروج من ذهنية «القبيلة والغنيمة»، كما أن نجاح «الحرب على الإرهاب» صار بدوره رهينة القطع مع سياسة التسامح والتصالح مع الفساد، فشعور الفئات الضعيفة أن ثمة من يثرى على حسابها يقوي لديها الإحساس بالضيم ويفقدها الثقة بالدولة و.. بالمجتمع.

فؤاد غربالي

باحث في علم الاجتماع من تونس

العربي السفير

نوافذ

70 في المئة نسبة ارتفاع أسعار البضائع المستوردة في أسواق جنوب السودان منذ كانون الثاني/ يناير 2016، وقد ازداد انتشار سوء التغذية بين سكان العاصمة جوبا بنسبة 12 في المئة.

سوريا: السلطة تدخل مجلس شعبها بكلمتين

تعالت صور المرشحين لانتخابات مجلس الشعب فوق قامات المارة، تارةً تجتذبها اللوحات الإعلانية الطرقيّة فتحبسها في الأعلى داخل إطارات مستطيلة، وتارةً تتلقفها الواجهات الزجاجية للمحالّ التجارية وجذوع أشجار الزينة، فتضعها في بؤرة الرؤية المباشرة.

الصور ترمي الناس بأي كلام، أغلبهُ مصفوف بعجالة، إذ غابت البيانات الانتخابية للمرشحين. فحجّةُ المنافسة على أصوات الناس معدومة، والسلطة خاضت هذه الانتخابات بمفردها، بعدما قاطعتها أغلب قوى المعارضة الداخلية.

مرشّحون من لونٍ واحد

تستلقي صورة المرشّح على كامل مساحة الملصق الدعائي، يعلوها اسمه، فيما تتعلق حروف الشعار الانتخابي بوسط الصورة أو في ركنها السفلي، من دون أن تتحاور تلك الدعاية مع الذي يراها. تجعلهُ فقط يشيحُ ببصره عنها، وأحياناً تحثّهُ على مَزعِ طرفها غير المثبّت بالغراء جيداً، والتشفّي منها بهذهِ الفعلة الخاطفة. بعضهم يسخر من سحنة مرشحٍ لم يرهُ من قبل، فيعيد معالجةَ صورته بقلم حبر، يضيف عليها شامة فوق الخدّ الأيمن، أو شارباً كثّاً، أو لحية. هكذا يحتجّ الناس على مكوث الصور أمامهم.. قوائم «الوحدة الوطنيّة» ستدخل كاملة إلى مجلس الشعب. وتلك هي الاسم المحسّن لغوياً لما كان يعرف سابقاً بقوائم «الجبهة الوطنية التقدّمية» بزعامة حزب البعث. عددهم 182 مرشّحاً، وأما باقي المقاعد الشاغرة البالغ عددها 68 مقعداً فسيملؤها المرشحون المستقلون المقرّبون من النظام. بهذا تضمن السلطة مجلساً من لونٍ واحد، يجري بين أعضائه دمٌ واحد. «هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديموقراطي» أعلنت مقاطعتها الانتخابات ترشيحاً ومشاركة، ومثلها فعلت «جبهة التغيير والتحرير» المعارضة، في حين سحبَ «حزب الشباب الوطني» مرشّحهُ الانتخابي من هذا المشهد المأزوم، العصيّ على أيّ انفراجاتٍ حتى طفيفة.

شعارات قوامها كلمتان

اختار المرشّحون لدخول مجلس الشعب ديباجات لغويّة ممجوجة صاغوا منها شعاراتهم الانتخابية، رسالتهم إلى ناخبهم المفترض. اللافت في أغلبها أنه جاءَ من كلمتين أو ثلاث مدموغة تحت اسم المرشّح، على يسار الصورة أو على يمينها، أو حتى في أسفلها. مثل «صوتكم صوتي»، أو «بكم نرتقي»، أو «عم فكّر متلك»، أو «العمل كل ما أملك»، أو إنتو وأنا سوا»، أو «معكن وإلكن»، أو «معكن منعمّرها»، أو «معكن قول وفعل»، أو «صوت الشعب في مجلس الشعب».. تبدو تلك الشعارات عائمة فوق واقعٍ اقتصاديٍّ اجتماعيّ لا يشبهها بشيء، ولا يوقظ أيٌّ منها شهيّة الناس إلى الصراخ والاحتجاج على حياة مأزومة لا تفارقهم منذ سنوات. بعض تلك الشعاراتٌ يصلح أكثر لأن يكون مطلع أغنية «عتابا». تعيش ديباجات تلك الشعارات عقيدتها الخاصة حيث لا يخالطها وجع الناس، بل وتتجنّب الإتيان عليه، كأنهُ وجعٌ لا يخصّها. لا برامج انتخابيّة تدلل على جديّة المرشّح في خدمة الناس، ولا جولات يمرّ فيها النائب المحتمل على ناخبيه المحتملين، فقط خيمٌ انتخابيّة قليلة لا تغري أحداً بدخولها، لا أحد يريد سماع مكبرات الصوت وهي تُفرغ جعبتها من الأغاني الحماسيّة الموائمة لمزاج «الدبكة». الكلّ يبحث عن لقمته الضائعة.

قدّرت اللجنة القضائية الخاصة بانتخابات مجلس الشعب عدد المرشحين بنحو 11341 مرشحاً. ويغيب عن هذه الانتخابات مرشّحو وناخبو محافظتي إدلب والرقة اللتين صارتا خارج سلطة النظام السوري، كما أنّ الحرب والهجرة بظروفهما الملتبسة قلّصتا من عدد حَمَلة الشهادات الجامعية المرشّحين إلى مقاعد المجلس، بحيث لم يتجاوز عددهم هذه المرّة 8 في المئة من إجمالي عدد من ترشّح.

حين كان للمرشح برنامج انتخابيّ

تبدو هذه الانتخابات، كما غيرها، أشبهَ بمسابقة توظيف تجريها السلطة لملء الشواغر في إحدى المؤسسات الحكوميّة، وإن كان مجلس الشعب، بحيث تنحصر مهمة موظفيه المحسوسة واقعياً بدراسة مشاريع القوانين وإقرارها لا أكثر. وهذا قائمٌ منذ أربعة عقود. قبلهُ كانت انتخابات البرلمان السوري بمثابة مرآة تعكس حضور الطيف السياسي في الشأن العام، قوى اقتصاديّة اجتماعية ممتدة من اليمين إلى اليسار تتنافس على السلطة. وكان الظفر بثقة الناخب هدفاً يحضّر المرشّحون من أجله البرامج الانتخابية. كانوا يعلمون بأن لصوت الناس قيمة ترفع من أسهمهم أو تخفّضها. وإنْ عدنا إلى الانتخابات البرلمانيّة التي جرت عام 1954 مثلاً، لوجدنا أن صورة المرشّح في منشوراته الدعائيّة كانت لا تحتلّ سوى حيّزٍ يسير من أعلى المنشور إلى جهة اليسار، فيما يظهر البرنامج الانتخابي للمرشح على كامل الملصق الدعائي. لم يكن حينها أحدٌ قد اهتدى بعد إلى فضائل الشعار الانتخابي المُصاغ من كلمتين. نقرأ في البيان الانتخابي لخالد بكداش، مرشّح الاتحاد الوطني عن دمشق مثلاً «توطيد الانتصار الوطني الذي تحقق بجلاء الجيوش الأجنبيّة عن سوريا، واستكمال أسباب الاستقلال الوطني، ورفض الارتباط بأي معاهدة أو حلف استعماري حربي كحلف تركيا الباكستان، والمساعدة العسكرية الأميركيّة، والمشاريع الاتحاديّة المزيّفة، وتوطيد أسس النظام الجمهوري الديموقراطي البرلمانيّ، وإطلاق الحريّات الديموقراطيّة: حريّة الصحافة والرأي والكلام والاجتماع وتأليف الجمعيات والأحزاب السياسية والحريات النقابيّة...».

أيضاً يطالعنا البيان الانتخابي لعصام المحايري مرشّح الحركة السوريّة القوميّة الاجتماعيّة في دمشق بالتالي: «إشاعة الإخاء القومي، وبناء النفوس في العقيدة القوميّة الاجتماعيّة، فلا طوائف ولا طبقات، بل أمة واحدة، مجتمع واحد تسوده عصبيّة واحدة هي عصبيّة الأمة القوميّة، وتنظيم الاقتصاد القومي على أساس الإنتاج، وإنصاف العمل وجعله منتجاً وصيانته من استبداد الرأسماليين والإقطاعيين، وصيانة مصلحة الأمة والدولة بحماية إنتاجنا، وتحديد الأرباح والاهتمام بالأسواق الخارجيّة، وتعميم التعليم القومي وجعله إجبارياً ومجّانياً...».

نبتعد عن رجالات السياسة في الخمسينيات، لنقرأ في البيان الانتخابي للدكتور محمد الرفاعي صاحب مستشفى الرفاعي آنـذاك: «المحافظة على النظام الجمهوري البرلماني، العمل على تحرير الأقطار العربية المستعمَرة، عدم ربط البلاد مع أيّ حلف استعماري مع الغرب، العمل النضالي لاسترداد فلسطين المقدّسة، ولواء الاسكندرون، تطبيق نظام التأمين والتأميم الطبيّ المجاني، تطبيق نظام الضمان الاجتماعي ضد الفقر والبطالة والمرض والعجز، تعميم بناء المساكن الشعبية، زيادة رواتب وأجور الموظفين والعمال، مكافحة الغلاء والاحتكار والغش، تشجيع الزواج ومكافحة البغاء السريّ...».

.. الآن لم يعد مجلس الشعب السوري مكاناً لاقتسام السلطة، وتبادل الأدوار، لا تنبثقُ عنهُ حكومةُ الأكثريّة، وليس فيه معارضة الأقليّة، هو أشبه بأي دائرة حكومية تسيّر عملها مجموعة موظفين إداريين. وربما لم يختلف الظرف الموضوعي كثيراً في خطوطه العامة بين اليوم وبين خمسينيّات القرن الماضي. نستشف ذلك من البيانات الانتخابية للمرشحين حينها، فلا ضير إذاً من انتخاب أحد النوّاب الميّتين شرط اقتناعنا ببرنامجه الانتخابي، حتى وإن كان مقتضباً كالبيان الانتخابي للمرشح المهندس عارف الحسامي في انتخابات عام 1954 وهو ينادينا إلى الآن «أيها العامل الكادح، أيها الفلاح المكافح، أيها المواطنون الأحرار. بانتخاب المهندس الزراعي والخبير الاقتصادي عارف درويش الحسامي تقيم لنفسك سدّاً منيعاً ضد الفقر والجهل والمرض، وتقضي على الإقطاعيّة والاستثمار، والبطالة».. على الأقل لم يكن بيانه الانتخابي من كلمتين فقط.

أيمن الشوفي
صحافي من سوريا

حلـــم..

ليلى كبة / العراق

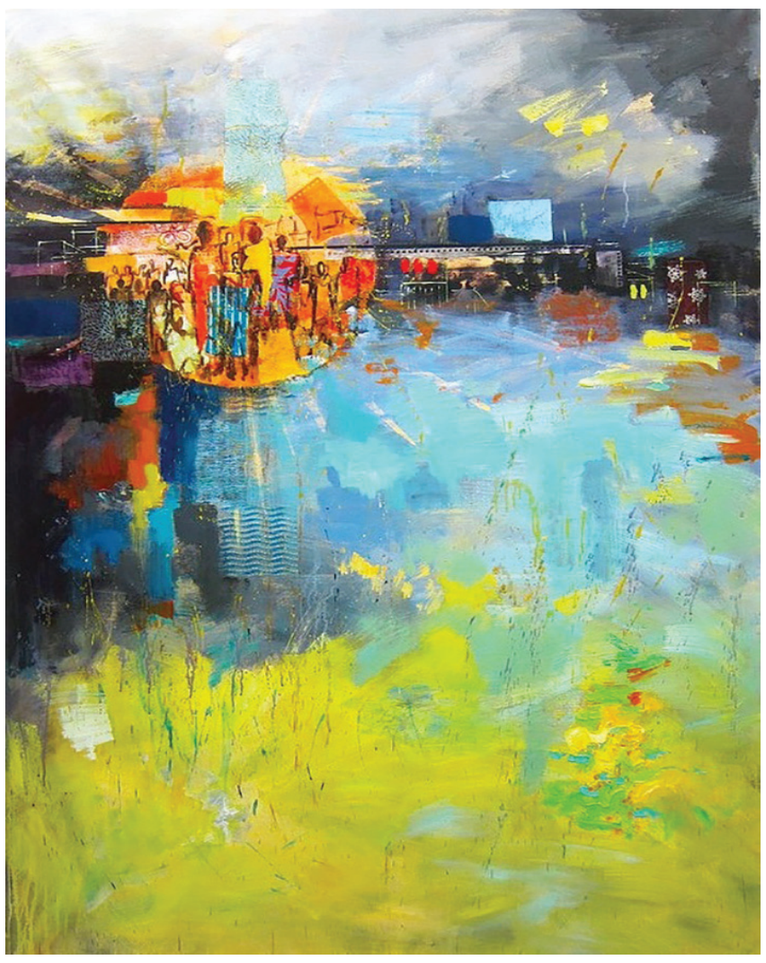

arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»
ـ إبريل الثورة: يا بلد بيعشقها الولد ـ منى سليم
ـ التدوين بالحديد ـ عزيز تبسي
ـ قصة مدينتين تراثيتين ـ أحمد ولد جدو
ـ تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
ـ تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

«جمعة الأرض» في مصر

محمد الشاهد – أ ف ب

عمرو عبدالله دلش – أ ب

«مصر مش للبيع» و«القرار بيد الشعب». يوم الجمعة 15 نيسان/أبريل، خرج آلاف المصريين إلى الشارع في تجمعات احتجاجية واسعة تحت عنوان «جمعة الأرض»، رفضاً لتنازل السلطة المصرية عن جزيرتي تيران وصنافير للسعودية خلال زيارة الملك سلمان للبلاد.

لم تشهد مصر مثل هذا التحرك منذ وصول السيسي إلى السلطة. لم يلجم القمع المرعب الممارَس الناس من التظاهر، ولا أقنعتهم المغريات المادية «بالبيع» بالرغم من الفقر البشع. «15 أبريل» تاريخ جديد للكرامة أو.. هو متجدد!

مدونات

التفريط بالتراب الوطني

عمري ما وافقت على مساواة الأمن القومي بالدفاع عن الحدود، وعمري ما استريّحت لفكرة «التراب المقدس»، لأني شايف أن قدسية الوطن نابعة من احترام آدمية المواطنين، وإن الأمن القومي ما لوش معنى لو المواطنين مش آمنين في بيوتهم من ظلم الحكومة وبطشها، وإن المواطن المتعلم المتمسك بحقوقه واللي بيقوم بواجباته هو عماد الأمن القومي.

إنما لما النظام الحاكم اللي باني شرعيته على الدفاع عن التراب الوطني، واللي بيتّهم كل أعدائه في الداخل بأنهم جواسيس وخونة، لما النظام دا يتنازل عن جزيرتي تيرَان وصنافير بدون الرجوع لمجلس النواب (كما ينصّ الدستور)، ومن غير حتى ما يُطلع الرأي العام ويُشرك الصحافة ويفتح حوار مجتمعي على القضية دي، في الحالة دي يبقى النظام دا، حسب تعريفه هو، يفرّط في التراب الوطني ويهدد الأمن القومي.

من صفحة Khaled Fahmy (عن فايسبوك)

الصحافة الحرة والأمن القومي المصري

الصحافة الحرة من ضرورات الأمن القومي مش بس من ضرورات الحريات العامة. يعني نكتشف امبارح (من الجرايد السعودية مش المصرية) أن النظام المصري بقاله شهور بيتفاوض في السر مع الجانب السعودي عن تعيين الحدود البحرية بين البلدين!

لو كنا بلد محترمة كان الإعلام الحر والمستقل في بلدنا هيتابع المفاوضات دي ويشرح لنا تفاصيلها على مدى 9 شهور فبدل ما كل واحد فينا عمال يدور دلوقتي في مكتبته وعالنت عشان يفهم حكاية الجزيرتين بعد توقيع الاتفاقية على سهوة، كنا هنكون فاهمين تفاصيل النزاع وموقف الطرفين ومكاسب كل طرف من الاتفاق، وايه سبب عدم لجوء مصر والسعودية للتحكيم الدولي ودياً والقبول بعدها بنتيجة التحكيم، وايه اللي حصل عليه النظام المصري في مقابل التنازل بدون خناقة، وايه سر تغير الموقف المصري من 2010 إلى 2016 (...)

الصحافة الحرة لو كانت عملت شغلها بدون تكتيف أو تواطؤ كانت هتحمي الأمن القومي المصري من أي تفريط وحتى من الإشاعات. لكن لما يكون الحاكم بيتعامل مع البلد على أنها كلها أرضه، ومع المواطنين على أنهم ضيوف، بنوصل بالظبط للمكان اللي احنا فيه دلوقتي، اللي هو القليل من المعلومات والكثير من التضارب، فضلا عن إحساس لن يزول بالمهانة وقلة الحيلة والضرب على القفا.

من صفحة Hossam Bahgat (عن فايسبوك)

لحظة الجماهير

من ساعة ثورة 25 يناير، لمّا الجماهير قدرت تخلع مبارك، وبعدين قدرت تخلع مرسي، وبعدين نادت باسم السيسي لغاية ما جابته، وفيه نوعين من الوعي:

1 – السلطة خايفة من الجماهير ومن غضبها، مهما بدا العكس، 2 – الجماهير، بما فيها السيساوية، مؤمنة بقوّتها وشايفة إنه مينفعش حد يستغبيها. قصة السيسي مش إنه دبابات اتحركت ناحية القصر وحاصرت الملك وبعدين ألعاب جوا أروقة الحكم لإزاحة نجيب وتولية عبد الناصر، ولا إن مجموعة علماء يروحوا لمحمد علي ويقولوله: «لا نرضى إلا بك والياً علينا»، إنما موضوع جماهير غفيرة تعزل من تشاء وتولّي من تشاء. مهما كان حجم اللعبة في 30 يونيو، لكن يظل المشهد الأساسي هو إن «الناس» شالت مرسي، و «الناس» جابت السيسي.

أتصور إن 30 يونيو تُبتلع في 25 يناير، وفي وعي هائل مفاده إن اللحظة الحالية، لحظة الربيع العربي، هي لحظة الجماهير وليست لحظة الأبطال المخلّصين.

من صفحة Nael Eltoukhy (عن فايسبوك)